في الحلقة الثانية من الحوار مع الرئيس السوداني

نميري: إنتهت الأزمة مع روسيا وقبل آخر السنة يتم تبادل السفراء

1976 هي سنة الحسم إقتصادياً... في السودان

في الحلقة الثانية من الحوار مع الرئيس السوداني

نميري: انتهت الأزمة مع روسيا وقبل آخر السنة يتم تبادل السفراء 1976 هي سنة الحسم اقتصاديًا... في السودان

الخرطوم — من فؤاد مطر :

خلاصة الموقف بين مصر والسودان يعبر عنه خير تعبير نوع من الشراب يتناوله السودانيون خلال شهر رمضان واسمه « حلو مر » . وهذا الشراب دائما الى مائدة كل سوداني في شهر الصيام . وطعمه يجمع بين الحلاوة والمرارة .

واثناء الحديث مع الرئيس جعفر النميري تناولنا هذا الشراب مرتين . المرة الاولى بمجرد ان بدانا نتحدث عن العلاقات المصرية — السودانية . والمرة الثانية قبل ان نبدا الحديث حول العلاقات السودانية — السوفياتية .

قلت للرئيس : امس كان وزير الخارجية الدكتور منصور خالد يقول لي إن الإجتماع الذي عقده مع وزير الخارجية السوفياتية أندريه غروميكو في الأمم المتحدة كان مثمراً وأنه في ضوء ذلك سيتم تبادُل السفراء قبْل نهاية السنة. وقبْل بضعة أسابيع إلتقيتُ في طرابلس الرائد أبو القاسم إبراهيم الذي كان أوفده نميري ليَطْمئن على الإخوان في ليبيا بعدما أفادت أنباء أن ثمة خلافات بينهم وسألته عن الجديد في الموقف مع الإتحاد السوفياتي فأكد لي موقفاً كنتُ سمعْته من الرائد مأمون عوض أبو زيد أيام كان لا يزال في مواقع السُلطة وهو إن تبادُل السفراء لن يتم قبْل أن يدين الإتحاد السوفياتي "حركة 19 يوليو".

وأود أن أسمع منك تحديداً قاطعاً في هذا الشأن، وهل إنكم ما زلتم تشترطون على الإتحاد السوفياتي إدانة تلك الحركة مقدمة لتسوية العلاقات؟

أجاب: الكلام الذي قاله أبو القاسم صحيح. والكلام الذي قاله مأمون صحيح.

قُلتْ: وما هو نوع هذه المؤشرات؟

أجاب: إذا أرسل الإتحاد السوفياتي مساعدات إلى السودان فإننا نعتبر ذلك إدانة غير مباشرة. وإذا وقف الإتحاد السوفياتي إلى جانب السودان في قضايا خارجية فهذا نوع من أنواع الإدانة. وعدم إيواء أفراد الحزب الشيوعي السابق نوع من أنواع الإدانة.

الإشكالات الداخلية

قُلتْ: لقد أنهيتم كل الإشـــكالات الخارجية. إتفقتم مع الولايات المتحدة على إعادة العلاقات معها. أوجدْتم صـيغة مثالية للتعايش مع الجيران الأفارقة. سـتتبادلون السـفراء مع الإتحاد السـوفياتي. ما الذي يحول دون إنهاء الإشكالات الداخلية؟

أجاب: أي إشكالات؟

قُلتْ: موضـــوع المعتقَلين والملاحَقين والمطلوبين. إنني أتســـاءل كيف أن ألوف الجنوبيين عادوا إلى البلاد وكانوا قبْل ذلك أعضـاء عاملين في حركة التمرد أو مناصرين لها في أي حال، في حين أن هنالك عشرات من السياسـيين السـودانيين، وبعضـهم سـبق لـه أن شـارك في الحُكْم، يعيشـون في المنفى. ألا تعتقد أنـه آن الأوان لعودة الجميع وإيجاد وحدة وطنية؟

أجاب: نحن لم نطرد أي شـــخص. الذي غادر أو إختفى إنما فعل ذلك بمحض إرادته. إننا لم نُعِد ســـجلات بأســـماء الذين يعيشـــون في الخارج. وأي واحد يريد العودة إلى بلده عن طريق المطار أو الميناء لن يجد أي صـعوبة. وهنالك شـخص مُعارض من إخواننا الجنوبيين يعتبر نفسـه هارباً من السـودان وعائلته (زوجته وبناته) تسكن قرب مطار الخرطوم. هل نكون في وضْـع المطارِد لهذا الشخص فيما زوجته وبناته يعشن في هدوء بيننا؟ هنالك أيضاً عزالدين علي عامر. لقد سِفَّرناه إلى الخارج ليتعالج وهو يرفض أن يعود. هل إننا نضايق أفراد عائلته الذين يعيشون في منزل يملكه في الخرطوم؟ هل صادرْنا البيت؟ أبداً. هل تعرَّض ساكنوه لمضايقات؟ أبداً.

قُلتْ: لقد بلغني أنكم إجتمعتم في الســـعودية بالشـــريف حســـين الهندي (أحد زعماء الحزب الإتحادي الديموقراطي المحلول). هل يعني ذلك أن الشريف الهندي سيعود إلى الخرطوم؟

أجاب: لقد إتصل بي خلال زيارتي للسعودية وطلب الإجتماع إلي. وإستقبلْته وقال إنه يريد العودة إلى البلاد، لكنه طلب منا أن نعلن مســبقاً العفو عنه. وكان جوابي إن عليه العودة إلى بلده وإذا كان مطلوباً في قضـــية ما فعليه أن يستجيب لكلمة القضـاء السوداني. أما إذا تبيَّن أنه بريء من أي تُهم فإنه سيعيش كأي مواطن سوداني ويتمتع بكامل حقوقه وحريته.

قُلتْ: إنه لأمر محيِّر. إنكم تضـعون الصـادق المهدي في الإقامة الجبرية في بورسـودان وفي الوقت نفسـه تدفعون رواتب لأفراد عائلته. ما الذي يمنع الإفراج عن الصادق؟

أجاب: الصادق ليس معتقَلاً لكي نفرج عنه. لقد وضعناه في منزل في بورسودان حرصاً على حياته والأفضل للصـادق أن يبقى في هذا المنزل. وأؤكد أننا لم نقصِّر في حق عائلة الصـادق وآل المهدي. إننا ندفع رواتب لنحو مئة عائلة. كما أن أولاد الهادي المهدي يدْرسون في بريطانيا على نفقة الحكومة.

قُلتْ: وسائر المعتَقَلين السياسيين؟

أجـاب: لقد إعتقلْنـا البعض ثم أفرجْنـا عن كثيرين. لكننـا نكتشـــف بعد ذلك أن الذين نُفرج عنهم يقومون بنشاطات سرية فنعتقل الخطِر منهم. وفي أي حال إن الإفراجات مستمرة.

قُلتْ: لكن هذه الأحزاب تعمل في السر؟

أجاب: سـيأتي يوم تؤمن فيه هذه الأحزاب بأن مصـلحة السـودان أهم بكثير من المصـالح الشـخصـية لقادة الأحزاب. ونحن نعتقد أن الإتحاد الإشتراكي السوداني هو الوعاء السليم الذي يمكن أن تصب فيه كل الإتجاهات الوطنية والنظيفة.

ما بقي من الثورة؟

قبْل أيام من وصـولي إلى الخرطوم أعاد الرئيس نميري تأليف حكومته؟ وكان أبرز ما في تلك الخطوة خروج إثنيْن من الرواد الذين شاركوا في ثورة 25 مايو 1969 هما الرائد زين العابدين عبدالقادر والرائد أبو القاسم هاشم اللذان عُينا بعد ذلك عضـويْن في اللجنة المركزية. وهكذا لا يكون بقي من رواد تلك الثورة في الحُكْم سـوى الرائد أبو القاسم إبراهيم.

وقُلتْ لـ نميري: لعلها الثورة الوحيدة المستمرة بين الثورات التي ينتهي دور المشاركين فيها بهذه السرعة.

أجاب: بعض الإخوان أنهوا دورهم بأنفسـهم. والثورة ليسـت أشـخاصـاً إنما إنجازات. ونحن لو تأملْنا قليلاً في الإنجازات التي حققتْها الثورة لتأكدنا من ذلك. ولقد قامت الثورة لتحقيق إنجازات بصـــرف النظر عن أي إعتبارات

أُخرى.

قُلتْ: وماذا ستفعلون بالنسبة إلى الذين يتجمعون في القاهرة وكانوا من قبْل من المشاركين في الحُكْم؟

أجاب: سيعودون ذات يوم إلى الخرطوم.

قُلتْ: هناك أنباء عن إعتقالات في صفوف الناصريين والقوميين العرب. هل هذا صحيح؟

أجاب: ليست هنالك خطة تقضي بإعتقال جماعات معيَّنة. الذين يُعتقلون إنما يتم إعتقالهم لأسباب موجبة.

قُلتْ: والشيوعيون أما زالت نسبة المعتقَلين منهم مرتفعة.

أجاب: في إستمرار يتم الإفراج عمَن تأكد لنا سلامة مسلكيته.

الجنوب... والجنوبيون

إنتقلْنا في الحديث إلى موضوع الجنوب. قُلتْ للرئيس نميري إنه بلغني وأنا في الخرطوم أن هنالك عشرات من صناديق الأدوية والأغذية متراكمة في العاصمة ولم ترسَل إلى الجنوبيين.

أجاب: إن مشكلة المواصلات هي السبب. يومياً تُرسل إلى عواصم الإقليم الجنوبي أدوية وأغذية. إننا نحتاج إلى أسطول من الطائرات التي كانت عملية إيصال الأدوية والأغذية والناس ستتم بشكل سريع. لكننا سنحاول.

سألتُه: هل ما وصلَكم من مساعدات يكفي لتأمين توطين الجنوبيين العائدين، وبالتالي تأمين الإستقرار هناك؟

أجاب: إننا نحتاج إلى الكثير. وما نأسف له هو أن ما قدمتْه الدول العربية أقل بكثير مما قدمته لنا دول العالم.

قُلت: بماذا ساعدتكُم مصر وليبيا؟

أجاب: لم تقدِّما لنا شيئاً.

قُلتْ: ألا تعتقد أن موقفهما السياسي من حلِّكم لقضية الجنوب هو الذي حال دون مدِّكم بمساعدات من أجْل عملية التوطين؟

أجاب: أليست قضية الجنوب قضية سودانية؟ هل هي قضية مصرية أم قضية ليبية؟

قُلتْ: إن بعض المسؤولين المصريين والليبيين يرون أن قضية الجنوب هي قضية عربية ويتصورون أن طريقة حلكم للقضية من شأنها أن تولِّد مخاوف من إحتمال إنفصال الجنوب مستقبلاً.

أجاب: نحن إخترنا الحل الذي من شأنه أن يُبقي على الجنوب جزءاً من السودان الموحَّد. ونحن ننمي المشاعر العربية بين الجنوبيين وتلاحظ أن هنالك إستعداداً عند كثيرين لذلك.

قُلتْ: ألستم متخوفين من أن يكون الأسلوب الذي عالجتم به مشكلة الجنوب عاملاً يشجع على نشوء أوضاع مشابهة في شرق السودان وغربه. ألا تتوقعون أن يطالب أهل الشرق مستقبلاً بتطبيق "الحل الجنوبي" عندهم. كذلك أهل الغرب؟

أجاب: لا موجب للتخوف. إن ردنا على المتخوفين من تفتيت السودان كان إعطاء الحُكْم للأقاليم بحيث يشعر أهل الأقاليم أنهم مسؤولون عن إدارة مناطقهم. إن اللامركزية هي التي ستحول دون نمو أي أفكار تقود إلى تفتيت البلاد.

الوضع الإقتصادي

من الحديث عن الوضع في الجنوب إنتقلْنا إلى الحديث عن الوضع الإقتصادي. ومنطلَق الحديث كان ملاحظة أبديتها أمام الرئيس نميري.

قُلتْ له: لقد تجولتُ في أسواق الخرطوم وأم درمان ولاحظتُ أن حركة التجارة ليست ناشطة. كذلك لاحظتُ أن المحلات التجارية خالية من البضائع الأساسية. لاحظتُ أيضاً وأيضاً أن في البلد أزمة سكر.

قال: أما أزمة السكر فسببها أننا في رمضان وأن الإستهلاك يتزايد في هذا الشهر. وفي بور سودان كميات كبيرة من السكر وبسبب المواصلات لم تُنقل بالسرعة المطلوبة إلى الخرطوم وبقية المدن السودانية.

وأفاض نميري في حديثه عن الوضع الإقتصادي: قال: إن الوضع الإقتصادي السابق كان سيئاً للغاية. ونحن نشطْنا كثيراً للخروج بالبلد من حالة الإختناق. هنالك أمور نعالجها بسرعة وهنالك أمور أُخرى غير مُلحة نعالجها وفْق خطط بعيدة المدى. وفي السنة الأولى من الثورة إستطعنا أن نحدد ما نكسبه وما ننتجه. بعد ذلك بدأنا العمل

في مشاريع هدفها إيجاد خدمات ضرورية. ولقد وضعْنا إستراتيجية يكتفي بموجبها السودان ذاتياً إبتداء من سنة 1976 من المواد الرئيسية التي تستنزف موازنتنا وهي السكر والقمح والمنسوجات. ونأمل في أن نتمكن بعد عشر سنين من تأمين السكر لدول الشرق الأوسط. ومع حلول 1976 نكتفي ذاتياً بالنسبة إلى المنسوجات.

ووصل إنتاجنا من القمح الذي نلت ما نحتاج إليه، وسنزرع الأرز لنواجه ما نحتاج إليه من القمح. وإتفقنا مع شركات أميركية سننفق مئة مليون دولار في سبيل تحسين الدواجن وتصنيع لحوم الطيور والمواشي والأسماك. وخلال أشهر سيبدأ إنتاج هذه المصانع. كذلك سنكتفي في السنة 1976 ذاتياً من البن والشاي. وستقيم رومانيا مصنعاً للأخشاب وعندنا من المواد الخام ما يكفي لتأمين حاجة دول الشرق الأوسط من الورق لمدة خمسين سنة. وستتولى الصين وإيطاليا وأبو ظبي مساعدتنا في حقل المواصلات. كما أنه سيتم تصنيع الأدوية في السودان بما يكفينا. وهنالك محاولات لتصنيع الذرة. وخلال أسبوعيْن سيتم توقيع شركة أميركية _ يابانية ستزيد المساحات من القطن في السودان. وقامت الصين بدراسة لتحديد ما إذا كان في الإمكان التنقيب عن النفط في السودان. وكانت الصين أمينة إذ قالت لنا بعدما إنتهت الدراسة أن عندنا كميات متوافرة من النفط ولكن لا تستطيع سوى الولايات المتحدة إكتشاف النفط لكم بسبب توافر الآلات لديها.

وسنستطيع في المستقبل أن نكون بلداً يصدِّر لجيرانه المواد الغذائية. وثمة تقرير وضعتْه الأمم المتحدة ويشير إلى أن السودان سيكون في القرن المقبل إحدى ثلاث دول مصدِّرة للغذاء في العالم.

خالص التمني إلى القول إنه مطمئن إلى الوضع الإقتصادي وأن سنة 1976 ستكون "الحسم" على الصعيد الإقتصادي في السودان.

... وقمنا لتناول السحور مع ساعات الفجر الأولى من يوم الأربعاء 18 تشرين الأول 1972.

نُشر الحديث في صحيفة «النهار» – عدد الخميس 26 أكتوبر/تشرين الأول 1972